لسانهم الفني اذ انها لا تتجاوز مئة كلمة في حين ان ما دخل اليها من العربية تجاوز اربعة آلاف كلمة .

ويقول العالم الاستاذ رافائيل لابيسRafael Lapeso في كتابه « تاريخ اللغة الاسبانيه » ان العامل العربي في تكوينها كبير الاهمية ويأتي مباشرة بعد العامل اللاتيني . ونحن نرى فيها اليوم عددا كبيرا من المفردات التي تبتدىء بال التعريف . وهذا ما يرشدنا في احيان كثيرة الى اصلها العربي غير ان قليلا منها بقي على حاله الاصلي كتابة ولفظا مع انه حافظ على معناه الاصيل لما اصاب تلك المفردات العربية الاصل . سواء منها المبتدئة بال التعريف او غيرها. من تحريف لدى دخولها الى اللغة الاسبانية. والسبب في ذلك التحريف منطقي وواضح لما يوجد من فوارق شاسعة بين حروف العربية وحروف اللاتينية وبين جرس الاولى وجرس الثانية واسلوب لفظها ؛ وبين ذوق الاذن الاسبانية وذوق الاذن العربية ؛ فلكل قوم في لغاتهم ما الفوا وما توارثوا لذا اختلفت وسائل التعبير واللهجات واللغات . ولذا كان لابد للاسبان من سكب المفردات العربية ، واسماء الاعلام واسماء المواقع الجغرافية والمدن التي اطلق عليها العرب اسماء عربية في قالب سماعي يتناسب مع ذوقهم من جهة ومع امكانات لغتهم الاصلية واحرف هجائهم من جهة ثانية . فنحن نجد ان كلمة « الساقية » قد اصبحت بالاسبانية (: اثيكيا : Acequia ، والقاضي Alcalde والمعصرة Almazaras والضيعة Aldea وذلك لعدم وجود كل من القاف والعين بالابجدية اللاتينية، ويلاحظ هنا فيما اوردت من امثلة ، في كلمتي الساقية والضيعة ان حرف الالف المفتوحة قد اصبح (الفا مائلة) اي انه قد لحقت به الامالة ، فالامالة شاعت كثيرا فيما انتقل من العربية الى الاسبانية والبرتغالية وهي ظاهرة في طائفة كبيرة من الكلمات والاسماء . ثم نجد ان كلمة «حتى» اصبحت Hasta ، وكلمة الوزير Alguacil وقلعة ايوب Calatayud ومدينة سالم Medinaceli ووادي الحجارة Guadalajarra ووادي الكبير Guadalquivir الخ .. ومما يلاحظ كذلك ان الاسماء العربية والمفردات المسكنة في آخرها لم تتفق والذوق الاسباني فتحرك آخرها لدى اقتباسها باحرف صوتية مثل (آ) او (او) او (اي) a, o, i بحيث اصبح السوق : Zoco

وفلان : Fulano ومولد Muladi ، ومعناها المسلم الاسباني . غير العربي . وقد عرف الاسبان الذين اسلموا ابان الحكم العربي باسم (Muladies) وباطل : Baladi و Balde والزيت : Zeite والجبر Algebra ومسجد : Mezquita ومسكين : Mezquino الخ ... والامثلة اكثر من ان تحصى . وكذلك حرف الاسبان اسماء المدن والقرى والقلاع التي شيدها العرب في بلادهم . في شبه الجزيرة الايبيرية . كما اصاب التحريف اسماء بعض الانهر والمواقع الجغرافية التي اطلق عليها اسلافنا اسماء عربية ومثالا لذلك نرى ان مدينة مجريط تحولت الى « مدريد » ومدينة سالم صارت Medinaceli ومرسية : Murcia و«بني سالم» في جزيرة ميورقة (مايوركا) Benisalem واليابسة : Ibiza وهو اسم احدى جزر الباليار ومدينتها الرئيسية . وقلعة النور : Calatañazor . وقلعة اعرج : Calatarage ونهر وادي العين: Guadalén ووادي الرملة Guadarrama ، وغيرها كثير . وهذا ما يجعلنا نتوقف عند المرور بمثل هذه المفردات الاسماء العربية الاصل مستغربين ما لحق بها من تحريف .

ثم ان ما نقوله عن التحريف الذي لحق باغلبية المفردات والاسماء العربية لدى اندماجها باللغة الاسبانية قد اصاب كذلك الاسماء الاسبانية اللاتينية لدى نقلها الى العربية ، واعني بها اسماء الاعلام واسماء المدن والمقاطعات والمواقع الجغرافية المختلفة في شبه جزيرة ايبيريا وفي جزائرها الشرقية . فقد تعارف اسلافنا على تسمية بعضها بما يتفق وذوقهم السماعي واللغوي فاطلقوا اسم طليطلة على مدينة Toledo واسم ملقة على Malaga واسم طركونة على مقاطعة Tarragona واسم قطلونية على مقاطعة Cataluña

والاهم من هذا انهم تحروا في احيان اخرى اصل اسماء المدن القديمة اللاتيني (الافريقي الروماني) وشكلوا اسماءها العربية استنادا الى هذا الاصل ، فمدينة سرقطة Saragoza مثلا قد سميت كذلك عند العرب لانها كانت معروفة في القديم باسم Coisarangusta ، ومدينة استجة (اليخا اليوم Ecija) كانت في الاصل Astigi ، وشاطبه Jativa كانت تدعى Sactabis ، اما

اشبيلية Sevilla فان اسمها العربي مشتق من اسمها اللاتيني Hispalia ، وقرطبة Cordoba من قرطب Corteb اسم القرية الرومانية القديمة التي توسعت بعد الفتح العربي واصبحت عاصمة ملك الامويين . فالامثلة في هذا الصدد كثيرة تلقي الضوء على حقائق تاريخية هامة .

ولعل جانب الاشتقاق اللغوي الذي جرى عليه الاسبان لدى تبني المفردات العربية من اهم جوانب هذا البحث ، فكما جرى العرب على اقتباس جزء من اسماء المدن القديمة حين تسمية مجريط مثلا حيث انهم شيدوها واعطوها اسما مركبا من كلمة « مجرى » لوفرة مجاري المياه فيها ومن المقطع اللاتيني (ايت IT) فاصبحت مجريط ، نجد ان الاسبان درجوا على تركيب مفردات جديدة في لغتهم اذ كثيرا ما اتخذت الكلمات اللاتينية معنى عربيا بعد ان اجروا عليها تعديلات مقتبسة من التركيب العربي . لقد الف الاسبان هذه المؤثرات في حقبة تعايشهم الطويلة مع العرب فشاعت على السنتهم وما زالت جزءا لا يتجزأ من قاموس لغتهم . ونحن نعلم ان العرب تعارفوا على تسمية الغني : ابن الدنيا ، واللص : ابن الليل لان الظلام يساعد على السرقة فالف الاسبان هذه التعابير الرمزية واصبحوا يسمون اليتيم : ابن الحجر، والمتدين: ابن الاحسان، والسطحي : ابن يومه الخ .. ثم درجت في اللغة الاسبانية كلمة هيدالكو Hidalgo المركبة من Hijodalgo اي : ابن الخير ، واصبحت تطلق على النبلاء الذين يتميزون بالخدمات القومية والشجاعة والكرم، وقد اشار الى تفسيرها الملك الفونسو العاشر الملقب بالعالم وقال انها من المفردات الاسبانية المركبة على غرار بعض الكلمات العربية . والفونسو العاشر (العالم) هو الذي حكم طليطلة بعد خروج المسلمين منها بحوالي مائة وسبعين عاما واشتهر بتكريم ائمة الفكر المسلمين والمسيحيين اي المدجنين والموريسكوس وقد قربهم من بلاطه واستفاد من علمهم وثقافتهم لترجمة مؤلفات ابن رشد وابن سينا وابن باجة من العربية الى الاسبانية . وقد شاع في مقاطعات ليون وقشتالة والاندلس اطلاق اسماء على الاشخاص او الاسر انطلاقا من التقليد العربي ، لذا كنا نجد افرادا من الاسبان باسم Abolmondar اي « ابو المنذر » و Abohamor اي « ابو حمود » و Almodáfar اي المظفر و Maimón اي ميمون ، كما كانوا يكنون بعض اسرهم حتى القرن الحادي عشر باسمين مركبين اولهما عربي (ابن او بن او بني) والثاني لاتيني اسباني على غرار كنى بعض الاسر العربية ، فعرفت بينهم اسر مكناة ببني غوميث Benigómez وبينافيدس Benavides وغيرها .

وهنالك في اللغة الاسبانية طائفة من الكلمات التي تبناها الاسبان وحافظوا على معناها العربي واصابها بعض التحريف ومنها : « العيب » Aleve و « حسنة » Hazaña ، كما نجد انهم صرفوا افعالا اسبانية انطلاقا من الكلمة الاسبانية (اللاتينية اصلا) على غرار ما كان العرب يفعلون ، وهذا الاثر واضح في كلمتي صبح ومساء اللتين تولد عنهما فعلان هما : اصبح وامسى ، اذ اننا نجدهما في فعلي : Amanecer و Anochecer

واخيرا لابد من القول بان اثر لساننا العربي كان كبيرا في اسلوب التعبير الاسباني بل حتى في اسلوب التفكير ذاته اذ ان الاسبانية تبنت عبارات عربية وجملا برمتها ونقلتها وترجمتها حرفيا والفتها كقولهم : « ان شاء الله » (Ojalá) واعانك الله : (Dios le ampare) والله يحفظك (Que Dios guarde) وبارك الله بالام التي حملتك (Bendita sea la madre que te parió) الى آخر ما هنالك من سلسلة التعابير التي لا يعرفها في اوروبا غير الاسبان ، والتي تنم عن عقلية خاصة عربية اندلسية اسبانية من اسبابها الايمان القوي وصفاء السريرة الانسانية والفة التمني والتبريك في الحديث .

واليوم ونحن نستعرض ذلك التاريخ المشترك الطويل ونتحرى عوامل الاثر العربي في اسبانيا وفي لغة الاسبان لا يسعنا الا ان نقف موقف المعجب بما نقل العرب الى الارض الاسبانية من علوم وفنون وتقاليد ، وبابنائها الاصليين الذين رحبوا بما حمله الفاتحون اليهم من الوان متعددة لتلك العلوم والفنون والتقاليد ، فكانوا خير تراجمة لها في اوروبا الغربية في القرون الوسيطة . كما يجدر بنا ان نعترف بفضل « المستعربين » : Mozárabes الذين تاثروا بالتمدن الاسلامي واللغة العربية والتقاليد اذ انهم استعربوا باختيارهم فكرا وقلبا ، وحافظوا على لغتهم وحضارتهم وتقاليدهم قرنا اثر قرن وغاروا عليها ودافعوا عنها ، واسهموا بذلك في نقلها الى قومهم ولغتهم وتراثهم الادبي والفني اولا ثم الى العالم الغربي .

تشويهات في اللغة العربية أحدثتها الترجمة

الدكتور محمد عبد الرحمن مرحبا

ان الترجمة الصحيحة عمل شاق لا يعرفه الا من عاناه ، وقليل ما هم! واكثر الترجمات التي تخرج الى الاسواق ترجمات رخيصة تشف عن ضحالة اصحابها وفقرهم وعجزهم عن فهم ما يترجمون ؛ فحسبهم انهم ترجموا الالفاظ كلمة كلمة . اما المعنى العام للنص فلا يهمهم في قليل او كثير .

وقد تأثرت اللغة العربية بكثير من هذه الترجمات فركت وضعفت وغلبت عليها استعمالات تشعر وانت تقراها بالبعد عن الاسلوب العربي الرصين اذ ليس لها من العربية الا الالفاظ والحروف. وها نحن نورد نماذج منها نقتطفها من هنا وهناك .

« ثار ضد العباسيين » ؛ « شن حرب ابادة ضد » ، « مؤامرة ضد » ؛ « غارة ضد » ، « العداء ضد الاستعمار » . « معركة ضد الرجعية » ؛ « التلقيح ضد » ، « التامين ضد » ، « مناعة ضد » « المقاومة ضد المرض » ، « صدر حكم ضد » « الشكوى ضد » ، « استند ضد الحائط » .

فكلمة « ضد » هنا لا مبرر لها الا انها ترجمة حرفية لكلمة Contre الفرنسية او Against الانكليزية ؛ فاذا كانت كلمة «ضد» ترافق جميع هذه العبارات في الفرنسية او الانكليزية او غيرهما من اللغات الاوربية، فلا يصح ان يكون ذلك سببا لاستعمالها في اللغة العربية ايضا ، لاسيما اذا كان هنالك بديل عربي اقوى منها بكثير .

فالعربية السليمة تقضي ان يقال : « ثار على العباسيين » . « شن حرب ابادة على » . « مؤامرة على » . « احتجاج على » . « العداء للاستعمار » « الكفاح مع الاستعمار » . « معركة مع الرجعية » . « التلقيح من الجدري » . « التامين من المرض » . « مناعة على » « صدر حكم بحق او على فلان » . « مقاومة المرض » « مقاومتهم للمرض » . « الشكوى من الظلم والتعسف » . « استند الى الحائط » .. الخ ...

ومن الرطانات التي جاءت بها الترجمة ايضا قول بعضهم « يشكل تهديدا للسلام » « يشكل تقدما عظيما » ، « يشكل عنصرا هاما » ، « يؤلف مشكلة خطيرة ».. الخ .. مع ان الاصح ان يقال : « فيه تهديد للسلام » . « فيه تقدم عظيم » ، « وهو عنصر هام » ، « وهي مشكلة خطيرة » .

وهناك استعمال شائع جدا لا ارتاح اليه تسلل الى لغتنا الحبيبة بتاثر الترجمة ايضا وهو : « لعب دورا هاما في » .

ان اللغة العربية في غنى عن هذا الاستعمال الركيك ولو ان جميع اللغات الاوربية تستعمله ، ففيها عبارات كثيرة تؤدي نفس المعنى بمتانة وقوة وجزالة ؛ ليست للعبارة الفرنجية . منها ان يقال : « كان له شان عظيم » « اضطلع بنصيب كبير في » « اضطلع بمهمة » « قام بـ » .

ومن الاستعمالات الرطنة ايضا هذه العبارة : « كانت هذه الحرب كنتيجة لاغتيال .. » فانا لا ارى ترجمة لهذا الكاف لولا انها ترجمة حرفية لكلمتي Comme الفرنسية او As الانكليزية الضروريتين لتادية هذا المعنى في اغنيهما فقط . كما ان هذه الكاف الركيكة اخذت تحل في لغتنا محل استعمال الحال والمفعول به الثاني والمفعول لاجله .. اقرا هذه العبارات : « ما احسنه كمتكلم ». « ما احسنه ككاتب » ؛ « دخل عليهم كرئيس للبلاد » « فعل هذا كمناواة له »؛ « قال كتعليق على كلامه ». « اعتبر العربية كلغة اساسية » ؛ « عامله كحيوان ». والاصح ان يقال : « ما احسنه متكلما ! » ، « ما احسنه كاتبا ! » ، « دخل عليهم رئيسا للبلاد » . « فعل هذا مناواة له »؛ « قال تعليقا على كلامه »؛ « اعتبرها لغة اساسية » « عامله معاملة الحيوان ».

ومن خصائص اللغة العربية ان ياتي جواب « اذا » في الزمان الماضي ؛ الا في حالات نادرة قليلة . فيقال مثلا : « اذا جاء زيد جاء عمرو » « اذا امتزج بكذا وكذا حدث كذا » لكن لا يقال : « ... يحدث كذا » . او « يجيء عمرو » . غير اني لاحظت مع الاسف ان هذا الاستعمال الماضي الجميل المناسب لم يعد له وجود تقريبا عند طائفة المترجمين ؛ لا لشيء الا لان الماضي لا يستعمل في جواب « اذا » si, if في اللغات الاوربية التي يترجم منها.

كذلك نشا في اللغة العربية استعمال رطن خلفته الترجمة وهو تاخير الفاعل وتقديم ضميره عليه مثل ان يقال : « وفي حديثه عن كذا وكذا قال الرئيس كذا » ، « وبعد وصوله الى المدينة استقبل القائد وفود المهنئين » والاصح ان يقال : « والرئيس في حديثه عن كذا وكذا قال كذا » ؛ « وبعد وصول القائد الى المدينة استقبل وفود المهنئين » .

وهناك ايضا استعمال شاع بتاثير الترجمة ايضا وهو اضافة اكثر من مضاف الى مضاف اليه واحد . مثلا « عناية واهتمام الام بطفلها » « ذكاء ومقدرة رجل العلم ، والاصح ان يقال : « وعناية الام بابنها واهتمامها به » « ذكاء رجل العلم ومقدرته » .

وكذلك وردت في احدى الترجمات هذه العبارة التي تعكس شدة الحرص على الترجمة الحرفية والتقيد المستكره بالاصل : « محبة الله نحو بني الانسان » مع ان المبتديء في اللغة العربية يقول : « محبة الله لبني الانسان » . فاذا كانت «نحو» جزءا من التعبير الفرنسي او الانكليزي فهل من الضروري ان تكون كذلك في اللغة العربية ؟ ولكن قاتل الله الترجمة الحرفية التي تعمي عن خصائص اللغة وعبقريتها !

لقد خف استعمال المفعول المطلق في الترجمة وحلت محله ـ حرصا على « امانة » النقل كلمة « بصورة » . « بشكل » . « لدرجة » . « على نحو » فيقال مثلا : « مشيت بصورة جيدة »، « سار بشكل حسن » . « ان قامته طويلة لدرجة انها تسد الباب » « ظهر على نحو واضح » . ان هذه الاستعمالات واشباهها تنبو جميعا عن الذوق العربي الاصيل وتجفوه . اذ الاصح ان يقال : « مشيت مشيا جيدا » « سار سيرا حسنا » . « ان قامته طويلة طولا يسد الباب او بحيث تسد الباب » . « ظهر ظهورا واضحا » .

وهناك خطا يقع فيه كثير من المترجمين ايضا . وهو خطا لا يمس الترجمة وحدها . بل هو يمس قواعد اللغة ايضا . وهو التعبير عن المثنى بالجمع انسياقا مع الحرفية . فنرى المترجم يعبر عن المثنى تارة بالتثنية . وثارة يسى ان الحديث يدور عن شيئين فقط فينساق مع النص الفرنسي ويجمع . لانه على ما يظهر في عجلة من امره ويهمه ان يفرغ منه ليستانف نصا آخر . فالعصر عصر السرعة والنص طويل والضمير بعيد ؛ فلا عليه ان يلتزم بالحرفية ولو كان في ذلك تضحية باللغة وقواعده وبسمعته وكرامته لعرض من الدنيا قليل .

وهناك استعمال عجيب غريب اقحم في العربية اقحاما . فاللغة الفرنسية مثلا تستعمل عند الانتقال من فكرة الى اخرى كلمة Concernant او En ce qui concerne او Au sujet de الخ .. فامثلات اللغة العربية بهذه الكلمات : بخصوص . وفيما يتعلق ، وفيما يتعلق ، وبالنسبة الى .. مع ان كلمة « اما » « ومن حيث » اجمل من هذه الاستعمالات الركيكة واقوى واكثر تعبيرا ومتانة. ولم اجد اعجب من الجمع بين « اما » و « فيما يتعلق » كالقول : « اما فيما يتعلق بكذا » فان « فيما يتعلق » هنا مقحمة اقحاما لا معنى له وما كان اجمل هذا التعبير لو قلنا : « اما كذا »